رسالة بولس إلى الأفسسيين : لمحة عامة

رسالة القديس بولس إلى الأفسسيين ذات أهمية كبرى من حيث معالجة موضوع **الكنيسة** بشكل عام، إذ أنها لا تركّز على جماعة محدّدة، هي جماعة مدينة أفسس في آسيا الصغرى، بل على الكنيسة بالمعنى الأشمل للكلمة، التي "رأسها المسيح" (أف ٤:١٥)، والتي هدفها أن تكون أداةً لجعل تصميم الله الخلاصي معروفًا في كلّ الأرض: "لي أنا أصغر القديسين جميعًا، وُهِبت لي هذه النعمة، أن أبشر الأمم بما للمسيح من غنىً لا يُستقصى، وأن أجعل في النور للجميع ما هو تدبير السرّ المكتوم منذ الدهور في الله الذي خلق كلّ شيء" (أف ٣:٨-١٠). إنّ هذه **الإكليزيولوجيا** هي متجذرة في محبة الله الخلاصية، التي تجلّت في المسيح يسوع (أف ٢:٤-١٠)، وكلّ العمل الخلاصي هو متجذّر في تصميم الله الثالوث وفي تتميمه (١:٣-١٤). لغة الرسالة هي غالبًا لغة التمجيد (١:٣-١٤) والصلاة (رج أف ١:١٥-٢٣؛ ٣:١٤-١٩)، وبالطبع لغة الليتورجيا والأناشيد (٣:٢٠-٢١؛ ٥:١٤).

تشدّد فصول الرسالة على الوحدة في **كنيسة المسيح** التي جمعت معًا اليهود والأمم في بيت الله (١:١٥-٢:٢٢، خاصة ٢:١١-٢٢)، وتشدّد على **مواضيع** جوهرية، هي: الكنيسة، والروح، والرجاء؛ إله واحد، إيمان واحد، وعماد واحد (٤:٤-٦). ليس الاهتمام بالكنيسة من أجل ذاتها، بل بالأحرى من أجل رسالتها في العالم (٣:١-٤:٢٤). إن العطايا التي يهبها المسيح لأعضائها هي من أجل أن تؤدّي إلى نموّهم وتجدّدهم (٤:٧-٢٤). ولا يغيب عن بال كاتب الرسالة التنبيه والتحذير والإرشاد، لذا، نجد كل وجوه الحياة البشريّة والعلاقات بين الناس، وقد سلّط عليها ضوء المسيح (٤:٢٥-٦:٢٠).

على ما يبدو، وجّه بولس الرسالة إلى المسيحيين الذين في **أفسس** ("من بولس، رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، إلى القديسين الذين هم في أفسس"، ١:١)، وهي المكان الذي فيه عمل الرسول حوالي السنتين ("ثم أتى بولس أفسس... ودخل المجمع، وعلى مدى ثلاثة أشهر كان يتكلّم بجرأة مجاهداً في ملكوت الله ومقنعًا... وخلا بالتلاميذ، وكان يحدّثهم كل يوم في مدرسة تيرينّوس، واستمرّ ذلك سنتين"، أع ١٩:١٠).

لكنْ تُثير التساؤل **النبرةُ غير الشخصية** لهذه الرسالة الموجّهة إلى جماعة كان لبولس معها علاقة متينة (رج أف ٣:٢؛ ٤:٢١). لا توجد فيها تحيّات شخصيّة، بل عمومية، كما نقرأ في ٦:٢٣: "سلام للإخوة ومحبة". وذات مدلول أكبر أيضًا هو أنّ مخطوطات قديمة جداً وهامّة تحذف كلمتَيّ "في أفسس" (راجع أف ١:١)[١]. مع هذا ينظر الكثيرون إلى هذه الرسالة على أنها **رسالة عامّة** بعثها الرسول إلى عدد من

١- يُثبت وجودَ كلمتَيّ "في أفسس" المجلدان الاسكندري والغربي ومخطوطات كبرى عدّة، ومعظم الترجمات القديمة، ويُهملها البردي ٤٦، والمجلّدان السينائي والفاتيكاني.

الكنائس في آسيا الصغرى[٢]، والمرسَل إليهم يُحدّدون في كلّ مكان بواسطة ناقل الرسالة، أي تيخيقوس (٦:٢١-٢٢). ويعتقد آخرون أنّ الرسالة إلى الأفسسيّين هي تلك التي تُشير إليها كول ٤:١٦ على أنّها "إلى اللاَّوُدِيقِيّين"[٣]. إنّ بولس، الذي يُشار إليه على أنّه واضع الرسالة الوحيد في أف ١:١، يوصَف وبتعابير تقريبًا لا موازيَ لها، بالاستناد إلى الدور الهام الذي كان له في تصميم الله، والقاضي بحمل الأمم على الإيمان بالمسيح (٣:١-١٢).

من المؤكد أنّه، عند تحرير الرسالة، كان **بولس في السجن** ("فلذلك أنا بولس أسير المسيح يسوع من أجلكم"، ٣:١؛ "فأطلب إليكم إذاً أنا الأسير في الرب..."، ٤:١؛ "...فأعرّف سرّ الإنجيل الذي من أجله أنا سفير في سلاسل"، ٦:٢٠)، ويُعاني العذابات (٣:١٣).

تقليديًا، **تؤرَّخ** "رسالة الأسر"، هذه كما الرسائل إلى الكولوسيين، والفيليبيين وفيليمون، بالارتباط مع سَجن الرسول في روما، وعلى ما يبدو ما بين العامين ٦١ و٦٣. لكن هناك مَن يعتقد أن السجن كان قبل هذا التاريخ، ومن المحتمل أن يكون في قيصرية (أع ٢٣:٢٧-٢٧:٢).

من حيث **نسبة الرسالة إلى بولس**، أخذ العديد من النقّاد، منذ أوائل القرن التاسع عشر، واستناداً إلى أسلوب الرسالة ومفرداتها (خاصة عند مقارنتها مع كولوسي)، ونظرتها إلى الكنيسة، ومواضيع أخرى عقائديّة، يشكّون بأن تكون من رسائل بولس. بالتالي من المرجّح أن يكون أحد معاوني بولس قد خطّها تحت إشرافه، أو أحد تلاميذه الذي سعى إلى أن يوسّع أفكار بولس ويجعلها مناسبة لحالة جديدة حوالي السنوات ٨٠ إلى ١٠٠ ب.م.

٢ يرى عدّة شرّاح أنّ الرسالة موجّهة إلى عدّة كنائس في آسيا الصغرى، وأنّ النسخة الأصليّة لم تكن تحمل اسم أي كنيسة، بل كان يُضاف اسم الكنيسة على النسخة التي تُرسَل إليها، وما وصلنا هو نسخة أُرسلَت إلى كنيسة أفسس.

٣ يرى مرقيون، وهو كاتب غنوصي من القرن الثاني، أنّ هذه الرسالة هي تلك التي ذكرها بولس في كول ٤:١٦.